المعرفة العقلية في المنظور الإسلامي

د.مراد عبدالله الجنابي

أستاذ العقيدة والفكر الإسلامي المساعد

قسم الدراسات الإسلامية

كلية التربية بحجة – جامعة صنعاء

قال الله سبحانه وتعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)

سورة الرعد: الآية/4

المقدمة

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى ، سيدنا محمد وآله أهل التقى وأصحابه أهل الوفاء ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الحشر واللقاء.

(أما بعد):

فالعقل من أعظم نعم الله جل جلاله وعم نواله علينا ، وأنفع الأشياء وأجداها لدينا، حبانا الله تعالى به ، وخصنا بوظائفه ، به نميّز الخبيث من الطيب ، والخير من الشر، والفضيلة من الرذيلة ، في حدود ما منحنه الله تعالى من سلطة وما حباه من خصائص ، وما أناط به من وظائف. وجعله الله تعالى مناط التكليف ، ومدار المثوبة والعقوبة ، فالعقل مفطور على التمييز بين الأشياء وإطلاق الأحكام عليها، ولا يوصف بخير أو شر إلاّ من خلال عمله ، فهو في الحقيقة آلة خالية من الأغراض ، ومهمته العلم بصفات الأشياء من حسن وقبح ، وكمال ونقصان ، والعلم بخير الخيرين وشر الشرّين ليمايز بينهما.

وإن معرفة الله تعالى هي أسمى المعارف وأجلّها ، وهي الأساس الذي تقوم عليه الحياة الروحية كلها ، فمنها تفرعت معرفة الأنبياء والرسل ، وما يتصل بهم من حيث عصمتهم ووظيفتهم ، وصفاتهم ، والحاجة إلى رسا لاتهم ، وما يلحق بذلك من المعجزة والولاية ، والكرامة ، والكتب السماوية ، وعنها تشعبت المعرفة بمعالم ما وراء الطبيعة: من الملائكة والجن والروح، وعنها انبثقت المعرفة بمصير هذه الحياة ، وما تنتهي إليه من الحياة البرزخية ، والحياة الأخروية : من البعث والحساب ، والحوض ، والميزان والثواب ، والعقاب والصراط ، والجنَّة والنار.

وللمعــرفة بالله تعالى وسيلتان، إحداهما : العقل والنظر فيما خلق الله من أشياء. وثانــيهما: معــرفة أسماء الله وصفاته فبالعقل من جانب ، وبمعرفة الأسماء والصفات من جانب آخر يعرف الإنسان ربّه ويهتدي إليه ؛ حيث وظيفة العقل هي التأمل والنظر والتفكير ، فــإذا تعطلت هذه القُوى بطل عمل العقل ، وعطل من أهم وظائفه ، وتبع ذلك توقف من نــشاط الحياة مما يتسبب عنه الجمود والموت والفناء ، والإسلام أراد للعقل أن ينهض من عقاله ويفيق من سباته ، فدعا إلى النظر والتفكير ، وعد ذلك من جواهر العبادة.

والذين يجحدون نعمة العقل ولا يستعملونه فيما خلقه الله من أجله ، ويغفلون عن آيــات الله تعالــى هم موضع التحقير والازدراء ، والله تعالى يعتب عليهم في كتابه المجيد فــيقول:{ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ}[1]، وتعطيل العقل عن وظيفــته يهبط الإنسان إلى مستوى أقل من مستوى الحيوان ، وهو الذي حال بين الأقدمين وبين النفوذ إلى الحقائق في الأنفس وفي الآفاق ، والتقليد هو المانع للعقل من الانطلاق ، والمعــوّق له عن التفكير ، ومن ثمّ فإن الله يُثني على الذي يعقلون الحقائق، ويميّزون بين الأشياء، بعد البحث والتمحيص فيأخذون ما أحسن ، ويدعون غيره ، وينعى بالمقلدين الذين لا يفكــرون إلاّ بعقــول غيــرهم ، ويجمدون على القديم المألوف ، ولو كان الجديد أهدى وأجــدى لهــم، وفــي هذا يقول الحق – جل ثناؤه – {شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط}[2] ، ويقول أيضاً: { إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ}[3]،ويقول أيــضاً { قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون}[4]، ويقول:{ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات}[5] .

والإســلام حــين دعا إلى التفكير ، ورحّب به ، إنما أراد أن يكون ذلك في دائرة نطاق العقل وحدود مداركه ، فدعا إلى النظر فيما خلق الله من شيءٍ في السموات والأرض، وفــي الإنــسان نفسه ، ولم يحظرُ عليه إلاّ التفكير في ذات الله تعالى ؛ لأن ذات الله فوق

---

[1] سورة الأنعام: الآية/4.

[2] سورة آل عمران الآية 18.

[3] سورة فاطر الآية 28.

[4] سورة الزمر الآية 9.

[5] سورة المجادلة الآية 11.

الإدراك . والقرآن الكريم مليء بمئات الآيات الداعية إلى النظر في مجالات الكون الفسيحة، وآفاته الرّحبة التي لا تُحّد بحدّ ، ولا تقف عند نهايته، كقوله تعالى: { إن في خلق السموات والأرض واخـــتلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب}[1] وقول النبي الأكرمﷺ :((تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله فإنكم لن تقدروا قدره))[(2)].

ومن أجلّ الغايات التي يريدها الإسلام من إيقاظ العقل واستعمال وظيفته في التأمل والنظر والتفكير هي هداية الإنسان إلى قوانين الحياة ، وعلل الوجود وسنن الكون وحقائق الأشـــياء لتكون هذه هي المنارات التي تكشف له مبدع الكون وخالقه ، ولتأخذه برفق إلى هذه الحقيقة الكُبرى حقيقة المعرفة بالله تعالى ، فمعرفته جل جلاله إنما هي نتاج عقل ذكي ملهم ، وثمرة تفكير عميق مشرق.

واقتضى منهج البحث تقسيمه على ثلاثة مباحث هي:

1- المبحث الأول: ذكرت فيه معنى العقل وأهميته ، وينقسم على أربعة مطالب.
2- المبحث الثاني: بيّنت فيه المعرفة العقلية وحاجتها إلى هدى النبوة ، وينقسم على ثلاثة مطالب.
3- المبحث الثالث: أوضحت فيه أن العقل من أصول المعرفة في القرآن الكريم.

وخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي استنبطتها من مضمون البحث.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل كله صالحاً ، ولوجهه الكريم خالصاً، وأن ينفعني به والمسلمين في الدارين ، إنه سميع قريب مجيب للدعاء ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

(1) سورة آل عمران الآية 190.

(2) رواه أبو نعيم في الحلية مرفوعاً إلى النبي صَلَّىَ اْللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بسند ضعيف ومعناه صحيح، ينظر كذلك المقاصد الحسنة للسخاوي – رحمه الله –: ص159.

المحتويات

المبحث الأول

معنى العقل وأهميته

وينقسم على أربعة مطالب:

المطلب الأول:

العقل في اللغة.

المطلب الثاني:

العقل في الاصطلاح.

المطلب الثالث:

مستقر العقل من جسم الإنسان.

المطلب الرابع:

أهمية العقل ووظيفته.

اَلْمَطْلَبُ اْلأَوّلْ

العقل في اللغة

العقل لغة : هو الامتناع. يقال : عقلت الناقة أي منعتها من السير[1].

وأصل العقل في اللغة : الحبس.

ولأنه يحبس صاحبه عن ذميم القول والفعل، وهو الذي يميز الإنسان عن الحيوان، ويخصه بحسن الفهم والثبت في الأمور والحوادث، والحفظ من المهالك والشطط، والعقل ضد الجهل، والعاقل : الجامع لأمره ولرأيه، والذي يحبس نفسه ويردها عن هواها والمدرك للأمور بفهمه وحكمته.

قال جرير :

أبني حنيفة أُحكموا سُفهاءكم إنّي أخاف عليكم أن أغضبا[2]

---

[1] ينظر: القاموس المحيط: مادة (عقل) ج4، ص18 وما بعدها. وفي طبعة أخرى: مادة (عقل) ص923 وما بعدها.

[2] ديوان جرير: ص47.

وهذا قياس الحكمة ؛ لأنها تمنع من الجهل، والمُحكِّم : المُجَرِّب صاحب العقل المنسوب إلى الحكمة، قال طرفة :

لـــيت المُحكِّـــم والموعـــوظ صـــوتكما تحـــت التـــراب إذا مـــا الـــباطل أنكشفا[1]

أراد بالمحكِّم : الشيخ صاحب العقل المنسوب إلى الحكمة، وفي الحديث النبوي الشريف قال رســول الله ﷺ :(إن الجنة للمحكِّمين) [2]. وهم قوم حُكِّموا مخيَّرين بين القتل والثبات على الإسلام وبين الكفر، فاختاروا الثبات على الإسلام مع القتل لسلامة إيمانهم ورجاحة عقولهم وطمعهم بالجنة فقتلوا فسُموا بذلك المحكّمين.

والمعقــول : مـــا تعقله بقلبك، والمعقول: العقل، يقال : ما له معقول أي: عقل. والعقل له معان تقاربه : الحجى، واللب، والحجر، والنهى[3].

الْمَطْلَبُ الثَّانِيْ

العقل اصطلاحًا

العــقـــــــل : طاقة روحانية أوجدها الله تعالى في ذات الإنسان ليميز بها طريق الحق فيتبعه، وطريق الباطل فيجتنبه[4].

ومـــن يتابع مناهج العلماء يجد أن أهل العلم اختلفوا في تعريف العقل وفي صفته اختلافاً شديداً، وهذا الخلاف متعلق بزاوية النظر والاعتبار[5]، فمن لاحظ في نظره الجسمية وعدم الجسمية قال: العقل هو الجوهر المجرد عن المادة في ذاته وفعله.

---

[1] ديوان طرفة: ص172.

[2] الفائق في غريب الحديث: ج1 ص303.

[3] ينظر المصباح المنير: مادة (عقل) ص251، وينظر غرر البلاغة: مادة (عقل) ص387، معجم مقاييس اللغة: ج4 ، ص 690، أساس البلاغة: ص 309، القاموس المحيط : جـ 4 ص 18 وما بعدها، لسان العرب: جـ 12 ص 458، الصحاح: ج 5 ص 1769، المفردات في غريب القرآن: ص 446، العقل عند الشيعة الإمامية: ص73، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: جـ 4 ص 85. الزاهر: ج1، ص208، مجمل اللغة: ج3، ص617، مختار الصحاح: مادة (عقل) ص446.

[4] الوسطية في العقيدة الإسلامية: ص 140.

[5] منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس: ص 241.

ومن لاحظ ما يصدر عنه من معلومات أولية دون تعليم قال : العقل هو القوة الغريزية في الإنسان التي يدرك بها.

ومن كانت ملاحظته للعقل قال : العقل ضرب من العلوم الضرورية ومن هنا وجدت عدة تسميات للعقل وتعريفات.

فالعـــقـــل : جوهر مجرد يدرك الغيبيات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة.

والعقـل الهيولانـــي : هو الاستعداد المحض لإدراك المعقولات، وهي قوة محضة خالية من الفعل كما للأطفال.

والعقل بالملكة : هو العلم بالضروريات، واستعداد النفس بذلك لاكتساب النظريات.

والعقـل بالفعل : وهو أن تصير النظريات مخزونة عند قوة العاقلة بتكرار الاكتساب، بحيث تصبح ملكة يستحضرها متى شاء من غير تجشم كسب.

والعقـل المـستفاد : وهو حضور النظريات بحيث لا تغيب، ثم اختلفوا في محل العقل فقال قوم محله الدماغ، لأنه محل الحس، وقال آخرون محله القلب لأنه معدن الحياة ومادة الحواس.

والعقل من طرف آخر : موهوب ومكسوب.

فالموهوب : غريزة خلقها الله تعالى في الممتحنين من عباده، يُعرف بآثاره، فمعرفة الشيء بذكـر آثـاره أدق مـن معـرفة الشيء بذكر أعراضه العامة[1]، ولا يعرف كنهه إلا أرباب البـصائر بتعلـيم الله إياهم، أقام به الحجة على الخلق، ووعد وتوعد، وأمر ونهى، وحض وكره، لاستعداده للعلم والفهم، وهذا العقل تفاوت فيه الخلق.

والمكـسوب : هـو نتـيجة العقل الموهوب، وهو نهاية المعرفة وصحة السياسة وإصابة الفكـرة، وليس لـه حد فيعرف، فينقص إن أهمل، وينمو ويزداد بكثرة الاستعمال، وهذا ما نجـده عند الشيوخ من الحنكة والحكمة وصحة الرواية، وحسن التأني، وحساب العواقب، وذلـك لكثـرة الـتجارب، وممارسـة الأمور، ولذلك حمدت آراء الشيوخ لاكتمال عقولهم بالـتجارب، وتبصرهم بالعواقب، فإنما يصدرون عن آراء لم تعارضها الأهواء، فلئن فقدوا ذكـاء الطـبع، فقـد مرت عليهم وجوه العبر، وبلغتهم آثار غيرهم، وكفى بالتجارب تأديباً وبتقلب الأيام عظة.

فـإذا توفر العقل الغريزي إلى فرط ذكاء وحسن فطنة وجودة حس فقد فاق تجارب الشيوخ نمـواً، وهذا ما يلاحظ من حضور العقل في بعض الأحداث، وجودة الرأي، وحسن البديهة، مما يدل على أنه ليس للذكاء غاية، ولا لجودة القريحة نهاية.

---

[1] معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي: ص 55.

وكــل موضــع ذم الله تعالى فيه الكفار بعدم العقل فإشارة إلى عقل القلب وكل موضع رفع التكليف عن العبد فيه إشارة إلى العقل الموهوب[1].

والعقــل إن تجرد عن الهوى منع الهوى من الطغيان وتوريط الإنسان في المهالك لأن من صــفاته الفهــم والتدبــر والتفكر والتمييز والعلم والمعرفة ولذلك جعله القرآن الكريم مناط التكليف ودعانا إلى النظر في الوجود من خلاله.

اَلْمَطْلَبُ اَلثَّالِثْ

مستقر العقل من جسم الإنسان

اختلف العلماء في مستقر العقل، فقال قوم محله الدماغ لأنه محل الحس، وقال آخرون : محله القلب لأنه معدن الحياة ومادة الحواس، ومن هنا جاء تعريف بعضهم للعقل : جوهر روحاني خلقه الله متعلقاً بالبدن، وهو نور في القلب تعقل به حقائق الأشياء[2].

وذكــر ذلــك الاختلاف الدكتور الشيخ عبدو الحاج علي الحريري خلال بحثه عن مفهــوم العقل،ثم قال:((ومن خلال استقرائي لآيات العقل والنفس والروح والقلب تبين لي أن للإنسان عقلين :

الأول : محلــه الــدماغ وهــذا الذي يشرحه علماء النفس حديثاً وما يتعلق به من ذاكرة وخيال ووهم وغير ذلك.

والثانــي : محله القلب وهو المخاطب الحقيقي وقد تناولته الآيات القرآنية، وهذا العقل هو المــؤهل لمعــرفة الله تعالى، لكنه لا يعمل إلا بالتقوى والمجاهدة وكثرة الذكر، وله نوع صلة بعقل الدماغ))[3].

أما الدكتور الشيخ عبد الله مصطفى الهرشمي رحمه الله تعالى فقد فصل هذا الخلاف بــصورةٍ دقــيقة وبــيّن أن الإســلام دين روحاني سماوي وأن الروح ذو قوى متميزات مــتفاعلات في واقع الأمر، وهذه القوى الثلاث هي : الفكر والنفس والقلب. ثم أخذ يُعرف

---

(1) ينظر التعريفات: ص 151 – 152، الاستقامة: ج 2 ص 161، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: ص 36، العقل وفهم القرآن: ص 201، بصائر ذوي التمييز : ج 4 ص 85، المفردات للأصفهاني : ص 341، إحياء علوم الدين: ج 1 ص 83، مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ج 4 ص 389، الأساس في التفسير: ج 4 ص 983، الأساس في السنة: ج 1 ص 23، منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس : ص 226.

(2) إحياء علوم الدين : ج 1 ص 83 – 84.

(3) منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس : ص 225.

هذه القوى التي دلت آثارها على وجود الروح وخلوده بعد الموت، فإن معرفة الشيء بذكر آثاره أدق من معرفة الشيء بذكر أعراضه العامة. وبيّن معانيها وذكر الأدلة من الكتاب الكريم والسنة الشريفة على وجودها ووجوب الإيمان بالروح وقواه وآثاره في الدارين ومنها :

قوة الفكر : وهي قوة روحانية بها يدرك الروح ويعلم ويتأمل ويعقل ويفهم ويتخيل ويستنتج، ومظهر ارتباطها بالجسد الترابي هو الدماغ، وفي آيات كثيرة من الكتاب المجيد وردت مشتقات الفكر الفعلية للدلالة القطعية على وجود الفكر والمفكّر ومنها نتشرف بتلاوة سبع آيات : قال تعالى :{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً * وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً} إلى قوله تعالى :{إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ}[1].

وقال سبحانه وتعالى :{أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ}[2].

وقال عز وجل :{أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ}[3].

وقال جل جلاله وعم نواله :{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[4].

وقال سبحانه :{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ} إلى قوله الكريم :{يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[5].

وقوله تعالى :{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[6].

وقوله عز وجل :{إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} إلى قوله :{وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[7].

لقد وردت مشتقات الفكر في هذه الآيات بمعانٍ كثيرة : للتأمل والتدبر كما في الآية الأولى، وللعلم بالشيء كما في الآية الثانية في تتابعها هنا، وللتفكر والاستنتاج كما في الآية الثالثة، وبمعنى يعقلون كما في الرابعة، وبمعنى الاستدلال كما في الآيتين الخامسة والسادسة،

---

(1) سورة المدثر : الآيات 11 - 25.
(2) سورة الأعراف : الآية 184.
(3) سورة الروم : الآية 8.
(4) سورة النحل : الآية 44.
(5) سورة النحل : الآية 69.
(6) سورة الروم : الآية 21.
(7) سورة يونس : الآية 24.

وللتذكـــر والتخيل كما في الآية السابعة الأخيرة، وهذه المعاني راجعة إلى الإدراك والعقل، وهما راجعان إلى العلم، فكأن هذه ألوان من العلم دلت الآيات المتلوة ونبهت عليها، ومن ثم تم عليها بناء تعريفنا المتقدم (للفكر) اتباعاً لدلالات القرآن المجيد ومطابقة لواقع الأمر[1].

وحق الفكر على صاحبه :(أن يستعلم كل معرفة هي فرض عين، ثم كل ما أمكن من فروض الكفايـــة، ثـــم مـــا تيـــسر مـــن النوافل والمبرات والقربات وأن يتجه في العلم والعمل إلى الضروريات للحياة، ومنها إلى الحاجيات ثم من هذا إلى التحسينات، وأن يصبح للقلب خير معـــين ورفيق يساوقه ويواكبه ويحاوره ويستعين به ويعاونه، ويتجه معه إلى كل ما يحيي وٴاد ويرضي رب العباد)[2].

وعلى هذا فإن القوى الثلاث الفكر والنفس والقلب متفاعلة فيما بينها يؤثر بعضها في بعض وإن كان للقلب تأثير أتم وسلطان أعظم لأنه منبع الإرادة والقرار الفعال، وهو الذي يستقيم لـــه هـــذا السلطان إذا كان الوحي الشريف له ظهيراً وإياها هادياً، وإنْ شذ عن الوحي أو انحـــرف غلبه فكر منحرف لا محالة وساقتهما النفس الأمارة بالسوء إلى كل عمل ظاهر أو باطن فيه انقطاع القلب فمساءة الروح قال تعالى :{أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ}[3].

وعلـــى الجملـــة إذا انساق الإنسان مع النفس الأمارة إلى الكبائر والسيئات غلبته علـــى فكـــره وقلبه بتراكم تلكم الآثام، وإذا انساق مع أفكار ضالة عن نهج الهداية الربانية غلـــبه الفكر الضال، فأمسى كالحجارة ؛ بل هو أشد قسوة، أما من آمن بقلبه واتقى وصدق بالحـــسنى فـــذلك الذي يسّر الله تعالى روحه لليسرى ووفقه لخير الآخرة والأولى، وسور القرآن المجيد في الجزء الثلاثين توضح بأساليب مفيدة أوجه الهداية والضلال والعلاقة بين القلوب والأفكار والأعمال.

ثـــم وجـــه رحمه الله تعالى سؤالاً : العقل هل هو في القلب أو الرأس ؟ وأجاب : وفـــي هذا المقام ذهب الأسلاف الكرام علماء الإسلام مذهبين في مستقر العقل، فمن علماء الحـــديث المجتهدين من ذهب إلى أن العقل في الدماغ كالإمام أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه.

---

[1] ينظر معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي : ص 275.
[2] ينظر المصدر نفسه : ص 287.
[3] سورة الزمر : الآية 22.

ومـــنهم مـــن ذهـــبوا إلى أن العقل في القلب لا في الرأس محتجين بحديث النبي المصطفىﷺ الذي أخرجه أئمة الحديث البخاري ومسلم والترمذي، ثانيهم بطرق متعددة كلها عن عامر الشعبي والبخاري بسند أعلى فيه بينه وبين رسول اللهﷺ أربعة رواة فوجدناه في رباعـــيات البخاري رحمه الله فآثرناه هنا سنداً ومتناً :((حدثنا أبو نعيم قال حدثنا زكريا عن عامر قال سمعت النعمان بن بشير يقول سمعت رسول اللهﷺ يقول :((... ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فـــسدت فسد الجسد كله ألا وهو القلب))[1]. وبقوله تعالى :{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا}[2] وقوله سبحانه :{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ}[3] وهذا هو مـــا ذهـــب إليه العلماء الشافعيون ومنهم الشيخ العلامة يحيى النووي رحمه الله الذي ذكر المنحيـــين في شرحه لصحيح الإمام مسلم[4]، أما المتكلمون فجمهورهم في هذا على اختيار القلب وفيهم من اختار الرأس تأثراً بالإمام أبي حنيفة والأطباء.

وحـــسم الموضوع بقوله :(وإنا بفضل الله وحسن توفيقه ذاهبون في هذه المسألة مذهـــباً موحداً بين المذهبين السالفين، فنقول : بأن الحق والصدق ما وضحه رسول اللهﷺ من أن القلب بروحانية المصرح به في نص الحديث وجسمانية الملمّح إليه فيه، هو مرجع الـــصلاح والفساد في جسد الإنسان كله، إذ ليس بعد مقال الرسول المصطفىﷺ من حكم إلا مـــا يـــوافقه، أفلا ترى القلب متى فسد فسدت أعضاء الجسم فارتكبت المفاسد والمحرمات. وبـــأن المذهبـــين السالفين راجع إلى الصحة وموافقة النص دونما تعارض بينهما إذا دققنا المسألة على مزيد من العلم والتحقيق.

لقـــد بينا أن مظهر الفكر هو الدماغ وأن العقل من الفكر وهما راجعان إلى العلم، وأثبت العلم الحديث أن حقيقة العلم حاصلة بنبض كهرومغناطيسي يحصل في الدماغ، ولنعلم الآن أن القلب هو المولد الذي ينتج منه ذلك النبض الكهرومغناطيسي وكل القوى الكهربائية الموجـــودة فـــي جـــسم الإنسان، وهو أيضاً الذي ينتج قوة كهربائية خفيفة في داخل نفسه لتنظـــيم نبـــضاته، حتى إذا اختلت درجة قوتها المعينة زيادة أو نقصاناً اختل نظام نبضات القلب ذاته اختلالاً مشعراً بممات الجسد آخر الأمر، وهذه الأخيرة قد أصبحت اليوم معروفة فـــي علـــم الطـــب، وأصبح اختلالها يعالج معالجةً جراحية بمد رأس سلك إلى داخل القلب الكثـــيف مـــربوطة نهايـــته الأخرى بنضيدة كهرباء جد صغيرة تُخبّأ تحت جلد المريض في

---

[1] إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: جـ 1 ص 283.
[2] سورة الحج : الآية 46.
[3] سورة ق : الآية 37.
[4] إرشاد الساري للقسطلاني : جـ 8، ص 424 - 425، وفي متنه شرحه لصحيح مسلم.

موضـــع ملائـــم مـــن جسده، وهذا وجه من أوجه التمايز بين قوتي الفكر والقلب من قوى الروح الثلاث التي بيناها آنفاً، وذلك ما أوضحناه من التفاعل بين هذه القوى وبين أن القلب اللطيف هو صاحب السلطان الأعظم والتأثير الأتم بين قوى الروح.

وهكذا يصح قول القائل بأن العقل في الرأس، كما يصح قول القائل بأنه في القلب :

الأول : من حيث المظهر المحسوس به، والثاني : من حيث المكمن المؤثر.

ومـــثل الفـــريقين كمثل أثنين يدخلان غرفة مضاءة بمصباح كهربائي أحدهما يفقد ثقافـــة الكهـــرباء والآخـــر يجدها : فأولهما يعزو الإضاءة إلى المصباح، والثاني إلى تيار الكهرباء عبر الأسلاك، وكلاهما مصيب عند ذاك)[1].

اَلْمَطْلَبُ الرَّابِعْ

أهمية العقل ووظيفته

العقل من أعظم نعم الله جل جلاله وعم نواله علينا، وأنفع الأشياء وأجداها لدينا، حـــبانا الله تعالـــى بـــه، وخـــصنا بـــوظائفه، به نميز الخبيث من الطيب والخير من الشر، والفضيلة من الرذيلة، في حدود ما منحه الله تعالى من سلطة وما حباه من خصائص، وما أناط به من وظائف.

وجعلـــه الله تعالـــى مـــناط التكليف، ومدار المثوبة والعقوبة، فالعقل مفطور على التمييز بين الأشياء وإطلاق الأحكام عليها، ولا يوصف بخير أو شر إلا من خلال عمله، فهو في الحقيقة آلة خالية من الأغراض، ومهمته العلم بصفات الأشياء من حسن وقبح، وكمال ونقصان، والعلم بخير الخيرين وشرّ الشرّين ليمايز بينها[2].

وهـــو الذي يرتب النتائج على المقدمات، ويقايس بين المتشابهات والأمثال، ومن خاصـــيته التمييـــز بـــين مـــراتب المحبوبات والمكروهات بقوة العلم والتمييز وإيثار أعلى المحبوبـــين علـــى أدناهما، واحتمال أخف الشرين للتخلص من أعلاهما لأن النفس لا تترك محـــبوباً إلا لمحـــبوب، ولا تتحمل مكروها إلا لنيل محبوب أو للتخلص من مكروه أشد[3]، فحسبه أن يوجه الأحوال المتطورة والظروف المتغيرة، والحاجات المتجددة، ثم يوائم بينها وبين الناس في لحظة عابرة وظرف موقوت[4].

---

(1) ينظر معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي : ص 284.

(2) القاموس المحيط : جـ 4، ص 18 - 19.

(3) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: جـ 1 ص 123.

(4) ينظر تفسير في ظلال القرآن: جـ 1 ص 217.

فقــد وضع الله سبحانه في العقول والفطر استحسان الصدق، والعدل، والإحسان، والبــرّ، والعفّــة، والــشجاعة، ومكارم الأخلاق، وأداء الأمانات، وصلة الأرحام، ونصيحة الخلــق، والوفاء بالعهد، وحفظ الجوار، ونصر المظلوم، والإعانة على نوائب الحق وقرى الضيف، وحمل الكل ونحو ذلك.

ووضع في العقول والفطر استقباح أضداد ذلك، ونسبة هذا الاستحسان والاستقباح إلى العقول والفطر كنسبة استحسان شرب الماء البارد عند الظمأ وأكل الطعام اللذيذ النافع عــند الجوع، ولبس ما يدفئه عند البرد، فكما لا يمكنه أن يدفع عن نفسه وطبعه استحسان ذلــك ونفعــه، فكذلك لا يدفع عن نفسه وفطرته استحسان صفات الكمال ونفعها، واستقباح أضدادها[1].

فهذه الأقوال وغيرها تثبت أن للأشياء حسناً وقبحاً ذاتيين، ولكن هذا الحسن وهذا القــبح لا تعلق لــه بالثواب والعقاب[2]. وفوق ذلك فقد لطف سبحانه وتعالى بعباده فأرسل لهم رسلاً من جنسهم ليكون هذا داعياً قوياً لهم لأن يؤمنوا بما وصلت إليه عقولهم وأيدته رســله إلــيهم، وليعــرفوا الحقائق الأخرى التي يعجز العقل الإنساني وحده عن معرفتها. فالرســول إنمــا بعث داعماً ومتمماً لرسالة العقل الإنساني وما حباها الله تعالى من صفات الفهــم والتدبر والتفكر والتمييز والعلم والمعرفة وجعله مناط التكليف ودعانا إلى النظر في الوجود من خلاله وآيات القرآن المجيد شاهداً على ذلك.

ورحــم الله تعالى الإمام موسى بن جعفر الملقب بالكاظم رضي الله عنه القائل :(إن لله على الناس حجتين : حجة ظاهرة، وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل، وأما الباطنة فالعقول)[3].

ولو لم يكن العقل حجة بذاته، لما أحالنا الله عليه في كتابه الكريم، ولما قال تعالى :{إِنَّ فِــي ذَلِــكَ لآيات لقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}[4] وقوله جل جلاله وعم نواله :{وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إلا الْعَالِمُونَ}[5] وقولــه سبحانه :{قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[6]

---

(1) إغاثة اللهفان : جـ 2 ص 138، مدارج السالكين شرح لمنازل السائرين للإمام الهروي: جـ 1 ص 230 - 231.

(2) ينظر مدارج السالكين : جـ 1 ص 231، الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي: جـ 1 ص 135، الإرشاد للجويني : ص 228.

(3) أصول الدين الإسلامي: ص 228.

(4) سورة الرعد : الآية 4.

(5) سورة العنكبوت : الآية 43.

(6) سورة النمل : الآية 64.

وعــشرات الآيـــات الأخرى التي تدل دلالة واضحة على تكريم الإنسان وتفضيله على سائر المخلوقات بالعقل.

وكذلك الحجة الظاهرة فضل ورحمة من الله عَزّ وجَلّ للإنسانية والمخلوقات جمعاء ولــولا الرسالات لظل الناس يهيمون في الضلال، إلا من عصم الله تعالى، وبها تمام الحجة لله علـــى عــباده قال سبحانه وتعالى :{رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً}[1].

المبحث الثاني

المعرفة العقلية وحاجتها إلى هدي النبوة

وينقسم على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:
المعرفة العقلية.

المطلب الثاني:
حاجة العقل إلى هدي النبوة.

المطلب الثالث:
ردود أهل الحق على منكري حاجة العقل للنبوة.

اَلْمَطْلَبُ اَلأَوّلْ

المعرفـة العقليـة

القول بوجود العقل وبأن إدراكاته موصولة بصحيح النظر إلى العلم والمعرفة هو قول العقلاء عامة وفلاسفة الإسلام خاصة.

والمعارض في ذلك فريقان :

الفــريق الأول : يعتــرف بوجود العقل ولكنه ينكر معارفه العقلية وحقائقه العلمية ولا يقيم وزنــاً لإدراكاته وهم طائفة من فلاسفة اليونان القدامى (السوفسطائيون)[2] أصحاب العقول

---

[1] سورة النساء : الآيتان 164 - 165.

[2] سفسطائي : كلمة يونانية تعني (الحكيم) والسفوسطائيون جماعة من معلمي الحكمة ظهروا في القرن الخامس قبل الميلاد في اليونان القديمة، وأشهر دعاتها : بروتا كوراس (480 ق.م)

ممـــن أصـــيبوا بخلط وضلال عجيبين غريبين، فكثرت عندهم الأغاليط وكثر الاختلاف فيما بينهم، ولقد أرجع الإمام الغزالي أغاليطهم إلى عشرين أصلاً، كفرهم في ثلاثة منها وهي : إنكار حشر الأجساد، وإنكار علم الله بالجزئيات وقولهم بقدم العالم، وفسقهم في الباقي.

ومـــن نظـــر في أقوالهم في صفات الله وما يجب له وجد المسلم عندهم العجب العجاب وقد تكفل الإمام الغزالي رحمه الله تعالى بفضح ترهاتهم والرد عليها[1].

وذهب مذهبهم جماعة من المسلمين حيث ذهب البعض وهم الإسماعيلية[2] إلى : أن النظر غير كاف في اكتساب المعارف، وقالوا : لا بد من معونة معلم إلهي، ولذا يوجبون الـــرجوع إلى هذا العلم (الإمام) بدون قيد ولا شرط لأنه على زعمهم وحده الذي سبر باطن النـــصوص الدينـــية، وهـــو وحده الذي يميز الحق من الباطل، والهدى من الضلال، وهو معصوم عن الخطأ عمداً وسهواً، والحقيقة وقف عليه وحده[3].

وذهب بعض آخر إلى : أن الإلهام وحده طريق المعرفة وليس العقل[4].

وقـــد فـــند العقلانـــيون دعوى الإسماعيلية وبينوا زيفها وأبطلوا حججها، وأثبتوا فسادها وبعـــدها عـــن الحقـــيقة والواقع، فهذا الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – يؤلف كتاباً (القـــسطاس المستقيم) للرد على دعوى الإسماعيلية ويبين فساد مذهبهم وبطلان معتقدهم، وقد حدد رحمه الله تعالى قواعد التفكير الصحيح المفضية إلى معرفة الحقيقة، ومهد للنظر العقلـــي طـــريقاً تؤمن لمن يسلكها الوصول إلى تمييز الحق من الباطل[5]. وإليك جزءاً مما

ودانتفون وبروديكوس، وتنقسم السفسطائية على ثلاثة أقسام: العندية والعنادية واللاأدرية، وتعرف السفسطائية بالحكمة المموهة، ينظر : مذاهب ومفاهيم الفلسفة والاجتماع: ص 66، قصة الإيمان: ص 37.

(1) ينظر المنقذ من الضلال للغزالي: ص 10 - 109، تهافت الفلاسفة للغزالي : ص 45 تهافت التهافت: ص 40.

(2) الإسماعيلية : فرقة باطنية تؤمن بأن إسماعيل بن جعفر الصادق وابنه محمد أحق بالإمامة من موسى الكاظم بن جعفر الصادق، والإسماعيلية من الغلاة ويطلق عليهم الباطنية لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر، وقد انبثقت من الإسماعيلية معظم الفرق الباطنية مثل القرامطة والدروز والحشاشين، وتمر بمرحلة التستر من عهد محمد بن إسماعيل إلى عبيد الله المهدي، وينفون الصفات الإلهية وينكرونها، ويؤمنون بتناسخ الأرواح ويخالفون عقيدة المسلمين في مسائل عديدة أوصلتهم إلى الكفر الصريح وهدفهم تقويض دعائم الإسلام. ينظر : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: ص 58، أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرامطة: ص 82.

(3) راحة العقل: ص 137 و 149، الملل والنحل للشهرستاني: ج 2 ص 29.

(4) الإحكام في أصول الأحكام: ج 1 ص 14.

(5) القسطاس المستقيم: ص 14 - 18.

قاله في كتابه (مشكاة الأنوار) في توضيح حقيقة العقل وإمكاناته :(العقل يدرك بذاته بكونه عارفاً، ويدرك معرفته لذاته، وينفذ ببصره إلى الأشياء ويفهم حقائقها ويستخرج منها أسبابها وأحكامها، أي مصدرها وسبب حدوثها ومكانتها في الموجودات ونسبتها إليها. ونشاطه هذا يمتد إلى كل الموجودات من محسوسات ومعقولات، إنه يدركها ويتصرف في جميعها، ويطلق عليها أحكاماً يقينية صادقة. ثم إنه يدرك بنوع خاص المعقولات وهي غير ماهية، إذ يدرك الأعداد مهما كبرت وتضاعفت وعلاوة على ذلك فالعقل منزه عما يطرؤ على الحس من غلط..)[1].

وقال ابن حزم – رحمه الله – في الرد على القائلين بأن الإلهام وحده طريق المعرفة وليس العقل بقوله:(إن المدعين للإلهام ولإدراك ما يدرك غيرهم يأول عقله، فلا يتفق اثنان منهم على ما يدعيه كل واحد منهم إلهاماً أو إدراكاً، فصح بلا شك أنهم كذبة.. وأيضاً فإن الإلهام دعوى مجردة من الدليل ولو أعطي كل أمرئ بدعواه المعراة لما ثبت حق ولا بطل باطل)[2].

وقد يسأل هنا سائل فيقول: ترى ما مكان الإلهام بين تلك الأصول التي أقامها القرآن الكريم حجة على العباد ؟

وجوابه : ليس في القرآن الكريم دليل قاطع على حجية الإلهام لوحده في تلقي المعارف ولكن قد يستدل بظواهر بعض الآيات على وجود هذا النوع من المعرفة كقوله تعالى:{إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً}[3] قال أبو الثناء الآلوسي المفسر رحمه الله:(فرقاناً، أي هداية في قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل، كما روي عن ابن جريح وابن زيد نصراً يفرق بين المحق والمبطل بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين كما قال الفراء، أو النجاة في الدارين كما هو ظاهر كلام السدي أو مخرجاً من الشبهات كما جاء عن مقاتل أو ظهوراً يشهر أمركم وينشر صيتكم كما يشعر به كلام إسحق[4].

غير أن المفسرين قد ذكروا في تفسير هذه الآية وجوهاً تبعدها عما ذكروا من دلالتها على الإلهام[5]: وكذلك قوله تعالى:{مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا}[6].

---

(1) المصدر نفسه: ص 19.
(2) الأحكام لابن حزم : جـ 1 ص 17.
(3) سورة الفرقان : الآية 49.
(4) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: جـ 9 ص 196.
(5) المصدر نفسه: جـ 9 ص 197.
(6) سورة فاطر : الآية 2.

وقولـــه تعالى:{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}[1] قالوا: معناهما بعيد عن الدلالة على الإلهـــام[2]. وعلـــى القـــول بوجوده لم يجعله القرآن مصدراً عاماً للمعرفة ؛ لأنه ناتج عن تجربة فردية، وليس قانوناً عاماً بين البشر، أي أنه لا يمثل حداً مشتركاً بين الناس كالحس والعقـــل. والإلهام الحق لا يمكن أن يصطدم مع الكتاب والسنة، وإذا اصطدم معهما لم يكن إلهاماً قط، بل هو دليل على أنه من كيد الشيطان وغوايته، لقوله تعالى:{هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَـــزَّلُ الـــشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ}[3] وكذلك قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُـــوهُ فَـــذَرْهُمْ وَمَـــا يَفْتَـــرُونَ * وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ}[4].

الفـــريق الثاني: ينكر العقل بمفهومه السابق ويذهب إلى أن الحواس الظاهرة والمخيلة هي وسائلنا الوحيدة للمعرفة وأن ما يسمى بالعقل إن هو إلا جملة أفعال ترجع إليها[5].

وأصحاب هذا المذهب يدعون (بالحسيّين أو التجريبيين أو الماديين) وقد ظهر هذا المـــذهب في الفلسفة الأوربية أخيراً، وكان من الممهدين له (فرنسيس بيكون ت 1626م) ومـــن أهـــم رجالاته (جون لوك ت1704م) و (دفيد هيوم ت 1776م) وقد لقي هذا الاتجاه رواجـــاً وانتـــشاراً كبيـــرين عند قسم كبير من الفلاسفة وأصبح له معلمون وأنصار في كل مكان، إلاّ أنه واجه ويواجه معارضة شديدة من العقلانيين.

وقد قام قسم من العلماء بدراسات علمية تجريبية للظواهر النفسية الخارقة أثبتوا فـــيها مغايـــرة العقـــل للمادة وقدرته على الإدراك بدون تدخل الحواس، كان أهمها ظاهرة :(التلبائـــي أي انـــتقال الفكر) وعرفهُ د. دارين بأنه:(الإحساس بأفكار شخص آخر وبدون تـــدخل الحواس)[6]. وظاهرة الاستشفاف أو (الجلاء البصري) وعرفهُ كذلك بأنه:(الإحساس بالأشـــياء أو الحوادث بدون تدخل الحواس أيضاً)[7] كما أثبت هؤلاء الباحثون أن ظاهرتي انتقال الفكر والجلاء البصري مظهران لظاهرة واحدة سموها:(الإدراك خارج الحواس).

---

(1) سورة العنكبوت : الآية 69.
(2) روح المعاني للآلوسي البغدادي: جـ 21 ص 14.
(3) سورة الشعراء : الآيتان 221 - 222.
(4) سورة الأنعام : الآيتان 112 - 113.
(5) العقل والوجود: ص 8، وينظر دائرة معارف القرن 14هـ: مادة (عقل).
(6) العقل وسطوته: ص 26.
(7) المصدر نفسه : ص 27.

وأثبتوا أن هذه الظاهرة – أي: ظاهرة الإدارك خارج الحواس – لا تخضع للعلاقة المكانية والزمانية التي تخضع لها جميع الظواهر المادية وظواهر الطاقة سواء أكانت كهربائية أو حرارية أو ضوئية أو غيرها. وقد عرضت نتائج هذه الأبحاث على مؤتمرين لعلماء الولايات المتحدة، أولهما: في الرياضيات الإحصائية الذي انعقد عام 1973م، وثانيهما : لعلماء النفس الذي انعقد عام 1938م وأقر المؤتمرون هذه الأبحاث وسلموا بالنتائج التي تمخضت عنها[1].

والملاحظ أن القرآن الكريم ليس فيه صراع بين الحس والعقل، كما حدث في بعض الفلسفات، وإنما يجمع بينهما وييسر لهما التعاون في صياغة المعرفة لأن تعطيل أحدهما هو تعطيل للآخر، قال تعالى:{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ والإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}[2].

وكما أن الحس له دائرة خاصة به، يتحرك فيها ولا يتعدى على غيرها كذلك العقل له مجاله الذي لا يتعداه، فعندما يبدأ عالم الغيب يقف العلم، ليبدأ الوحي الإلهي ؛ لأن العقل قدرته محدودة بحدود عالم المشاهدة واستنباط قوانينها، وحتى في عالم المشاهدة فإن الهوى يحول بينه وبين الوصول إلى الحقيقة فيحتاج الإنسان إلى دين إلهي غير محرف لضبط حركته والحيلولة بينه وبين جموح عقله.

ولهذا فقد اتفقت معظم المذاهب الإسلامية على عدم الاقتصار على المعارف العقلية وقرر أصحابها حاجة العقل الإنساني إلى معين يستعين به في تجديد الأعمال وتعيين الوجه في الاعتقاد بصفات الله تعالى ومعرفة ما ينبغي أن يعرف من أحوال الآخرة، وتنبيه العقل إلى ما غفل عنه، أو ضعف عنه إدراكه وذلك المعين هو النبي عليه الصلاة والسلام.

ومن هنا نعلم أن العقل عاجز عن معرفة الله تعالى حق المعرفة، وكذلك غير العاقل عاجز أيضاً عن معرفة الله تعالى، قال أبو بكر الكلاباذي رحمه الله:(وأجمعوا أنه لا يعرفه إلا ذو عقل، لأن العقل آله للعبد، يعرف به ما يعرف)[3]. وقال أبو طالب المكي رحمه الله:(وليس يكاد علم اليقين يقدح في معدن العقل، لأن علوم العقل مخلوقات ولا يكاد ينتجه الفكر ولا يخرجه التدبر، فما أنتجته الأفكار واستخرجته الفطرة من الخواطر والعلوم، فتلك علوم العقل وهي كشوف المؤمنين ومحمودات لأهل الدين)[4].

---

[1] العقل وسطوته لراين: ص 17.
[2] سورة الأعراف : الآية 178.
[3] التعرف لمذهب التصوف: ص 65.
[4] قوت القلوب في معاملة المحبوب: ج 1 ص 119.

أن نـــتائج العقول التي تتفق مع علم اليقين هي العقول الصحيحة السليمة العرية عن العوارض والأمراض، هذا إذا لم نقل أنها عقول القلوب[1].

لـــذا فمهمة العقل أن يدل صاحبه على وجود الله تعالى، فإذا آمن بالله تعالى قاده ذلـــك إلى الإيمان برسله، فإذا وصل إلى رسله أو ورثتهم أوقف عقله الدماغي وأعمل عقله القلبي لأنه لا يصلح للسير في عوالم الله سبحانه، وليس مؤهلاً لمعرفة الله تعالى ويؤيد ذلك مـــا جاء عن كثير من العلماء : قال أبو بكر الكلاباذي:(أجمعوا على أن العقل لا يعرف الله تعالـــى بنفسه[2] وأجمعوا على أن الدليل على الله تعالى هو الله وحده وسبيل العقل عندهم سبيل العاقل في حاجته إلى الدليل، لأنه محدث والمحدث لا يدل على مثله)[3].

وقيل لذنون المصري رحمه الله : ما الدليل على الله ؟ قال : الله، قال : ما العقل ؟ قـــال : العقـــل عاجـــز، والعاجـــز لا يدل إلا على عاجز مثله[4]. والعقل آلة أعطيت لإقامة العبودية لا للإشراف على الربوبية[5].

وقـــال بعـــض العارفين رحمهم الله تعالى:(العقل يجول حول الكون، فإذا نظر إلى المكوّن ذاب)[6]. وقولهم :(لم يكن للعقل أن يعرف الله إلا بالله)[7].

ووافقهـــم في ذلك جل الفلاسفة وجميع المؤمنين بالشرائع السماوية، وخالف في ذلـــك بعض الفلاسفة كبراهمة الهند[8]، حيث اكتشفوا بالمعارف العقلية وقرروا عدم حاجة العقل الإنساني إلى هدي النبوة في معرفة الله تعالى والمسائل الغيبية.

---

(1) ينظر منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس للسيد الحريري: ص 243.
(2) التعرف للكلاباذي: ص 65.
(3) التعرف للكلاباذي: ص 63.
(4) المصدر نفسه : ص 63.
(5) قوت القلوب للشيخ محمد المكي : ج 1 ص 106.
(6) ينظر العرف للكلاباذي : ص 63.
(7) المصدر نفسه : ص 65.
(8) البراهمة : نسبة إلى برهم وهو اسم الله في اللغة السنسكريتية، وهو عندهم الإله الموجود بذاته، لا تدركه الحواس ويدركه العقل وهو مصدر الكائنات كلها لا حد له، وهو الأصل الأزلي الذي يستمد منه العالم وجوده، والهندوسية دين توحيد من جهة ودين تعدد من جهة أخرى، وتظهر فيها عقائد بدائية كعبادة قوى الطبيعة وعبادة الأجداد وعبادة البقر بشكل خاص، ينظر : أديان الهند الكبرى: ص 49، والملل والنحل للشهرستاني : ج 1 ص 46، الأديان دراسة تاريخية مقارنة: ص 87، الفصل في الملل والنحل: ج 1 ص 46.

المَطْلَبُ الثَّانِيْ

حاجة العقل إلى هدي النبوة

لقــد شرف الباري جل جلاله وعم نواله الإنسان وكرمه، فكان أعظم ما شرفه به وكــرمه العقــل، فألحقــه بسببه بالملأ الأعلى، وبه تأهل لمعرفة الله تعالى بارئه ومبدعه، فاســتدل بما حوله، وعلمه وجسده على وجود الله الخالق المريد العليم وكان من حكمة الله تعالــى أنه لم يجعل في قوة عقول البشر ما يطلعون به على أحكام الدار الآخرة، فكمل لهم ســبحانه نور العقل بنور النبوة والرسالة، فأرسل إليهم الأنبياء والرسل مبشرين ومنذرين، فأرشــدوا العباد إلى ما فيه مصالح دنياهم فيما لا تستقل به العقول، وأرشدهم إلى مصالح أخراهم التي لا سبيل للعباد أن يعرفوها إلا بواسطتهم، فتمت بذلك نعمة الله على عباده[1].

وأن الاعتقاد بوجود الله تعالى والإيمان بصفاته الكمالية، كما يتم بواسطة من اختصهم الله تعالــى بالبــشارة والنذارة، يتم بالعقل الإنساني على نحو الاستقلال، فإذا وصل مستدل ببرهانه إلى إثبات وجود الله تعالى والإيمان بصفاته غير السمعية دون أن تبلغه بذلك دعوة نبي كما حدث لبعض مــن سمت عقولهم وصفت نفوسهم من البشر، ثم انتقل من النظر في ذلك إلى الاعتقاد ببقاء النفس الإنــسانية بعــد الموت، وأن لها حياة أخرى بعد الحياة الدنيا تتمتع فيها بنعيم أو تشقى فيها بعذاب أليــم. واعــتقد أن السعادة والشقاء في تلك الحياة الباقية مقرونتان بأعمال الإنسان في هذه الحياة الفانية، سواء أكانت تلك الأعمال قلبية كالاعتقادات أم بدنية كأنواع العبادات، ثم خلص من ذلك إلى أن ســعادة الــنفس إنمــا تكون بمعرفة الله وبالفضائل، وأن شقاوتها إنما تكون بالجهل بالله تعالى وبالرذائل.

فــلا مانع حينئذٍ من أن يدعو هذا الإنسان المدرك لهذه الحقائق إلى الله تعالى، وأن يضع لذلك ما يشاء من القوانين ليدعو بقية البشر إلى الاعتقاد بمثل ما يعتقد وإلى أن يأخذوا من الأعمال بمثل ما أخذ به من حيث لم يوجد شرع يعارضه[2].

كمــا فعــل اخــتاتون فــي مصر الفرعونية، وبرهام في الهند، وكنفشيوس في الصين، وزرادشت في فارس، وكثير من فلاسفة اليونان مثل أرسطو وفيثاغوروس وسقراط وأفلاطون.

ولكــن لما كان ذلك ليس حالاً لعامة الناس، وإنما قد يتيسر لبعض من اختصهم الله بكمال العقــل ونور البصيرة وأن لم تبلغه دعوة نبي، ولو بلغته لكان أسرع الناس إلى اتباعه، حتى هؤلاء قد يصلون بعقولهم من وجه غير ما يليق في الحقيقة أن ينظر إلى الجلال الإلهي.

---

[1] ينظر الحكمة في مخلوقات الله : ص 42 - 43.

[2] رسالة التوحيد: ص 72 و 89 و 90.

ولما كانت حاجات الإنسان غير محدودة ومعيشته غير مختصة بجو من الأجواء وكان ما وهب من القوى الإدراكية مختلف باختلاف أصنافه وشعوبه وأشخاصه اختلافاً لا تنتهي درجاته، فما يُعــدُّ مصلحة عند طائفة من الناس قد يُعدُّ مفسدة عند طائفة أخرى وما هو فضيلة عند جماعة قد يكون رذيلة عند جماعة أخرى.

فلــو ترك التشريع والتقنين لعقول البشر لاختلط عليهم الأمر في معرفة الخير والشر في معاملــة بعضهم بعضاً، ولما أمكن التمييز بين الحسن والقبيح والفضيلة والرذيلة، فمثلاً في الوقت الــذي يرى فيه الرأسمالي بإخلاص : أن الحضارة البشرية مهددة بالزوال إذا حلت الاشتراكية محل الحــرية الاقتصادية، يرى الاشتراكي بإخلاص لا يقل عن إخلاص زميله : أنه لا يوجد سوى وسيلة واحدة لصيانة الحضارة البشرية، وهي إلغاء النظام الرأسمالي وإحلال النظام الاشتراكي محله[1].

مع أن الجميع متفقون على أن من الأعمال ما هو حسن ومنها ما هو قبيح، ومن عقلائهم وأهــل النظر الصحيح والفكر المعتدل منهم يمكنه إصابة وجه الحق في معرفة ذلك ولكنهم يختلفون فــي النظــر إلــى كل عمل بعينه نتيجة اختلاف أمزجتهم ومناشئهم، فالعقل البشري وحده ليس في استطاعته أن يبلغ صاحبه ما فيه سعادته في هذه الحياة اللهم إلا القليل النادر[2].

ولمــا كانــت مــراتب الأخلاق متفاوتة عند البشر نظراً لتفاوت استعدادهم واختلاف أصنافهم وبيئاتهم، فإن البشر لو تركوا لعقولهم لما استطاعوا تكملة أخلاقهم وتزكية نفوسهم، ولما كان من أحوال الآخــرة مــا لا يمكن لعقل بشري أن يصل إليه وهو تفصيل اللذائذ والآلام وطرق المحاسبة على الأعمال ولــو بوجه ما. لذلك كله كان العقل البشري محتاجاً في قيادة القوى الإدراكية البدنية إلى ما هو خير لــه فــي الحياتين إلى معين يستعين به في بيان وجه الاعتقاد بالله وصفاته وتحدد أنواع الأعمال وبيان النافع منها والضار وبيان ما ينبغي أن يعرف من الحياة الأخرى قال الحارث المحاسبي رحمه الله:(أكمل العاقلين من أقر بالعجز أنه لا يبلغ كنه معرفته)(3).

وذلــك لأن العقــل البــشري بما فيه من قوة متنامية ترقى عن الحواس والوقائع محدود بحدود الحواس البــشرية، فهو أسير لمجال محدود لا يتخطى نطاق الظواهر المحسوسة وبالتالي فهو عاجز أمام الظواهر الكونــية الكبرى، فهو أعجز عن البحث في كنه الذات الإلهية، ودوره الاستسلام والانقياد لمقررات القرآن الكريم والسنة النبوية واستخلاص الحقائق الإيمانية وفهمها، والبحث فيما يستجد لديه عن هذه النصوص من معان ومفاهيم تواكب كل عصر ومصر، وبالجملة أن العقل البشري بحاجة إلى من يُعينه في تحصيل رســائل السعادة في الدنيا والآخرة، وهذا المعين يجب أن يكون من جنس البشر حتى يفهموا منه أو عنه مــا يقــول وما يأتي به من عند ربه وهذا المعين هو النبيﷺ، قال تعالى:{لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ

---

(1) منهاج الإسلام في الحكم: ص 23.

(2) ينظر رسالة التوحيد للإمام محمد عبده : ص 76، وكتاب أصول الدين الإسلامي للدكتور رشدي عليان : ص 153.

(3) ينظر منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس للسيد الحريري: ص 245.

بَعَــثَ فِــيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي

ضَلالٍ مُبِينٍ}(1).

الْمَطْلَبُ الْثَّالِثْ

القائلون بعدم حاجة العقل للنبوة وردود أهل الحق عليهم

إن الإنسان لا يستطيع أن يكتفي بعقله وضميره في كل شيء مما ينبغي له أن يعرفه مما يتعلق بالله وصفاته، وما لا بد منه من شرائع لتنظيم حياته الأولى، وصلاح أمر المجتمع، وحياته الأخرى وما يكون فيها من نعيم مقيم أو عذاب أليم.

ومن هنا كانت حاجة العقل الإنساني إلى مُعين يستعين به في إدراك ما يعجز عن إدراكه من ذلك حاجة ماسة وضرورة ملحة.

ومع ذلك فقد ذهب قوم من الناس إلى القول بعدم حاجة الإنسان إلى هدي النبوة ووحي الرسالة زاعمين أن الإنسان يستطيع أن يقوم وحدهُ، وأن يكتفي بعقله في تنظيم حياته وتلبية حاجاته.

والذاهبون إلى ذلك فريقان:

الأول: ينكر النبوات والرسالات السماوية، لأنه ينكر الإله تعالى ولا يعترف بوجوده، ومن البديهي أن من ينكر المرسِل وينفي وجوده، لا بُد وأن ينكر رسوله ولا يعترف بهديه ورسالته وقد عرف هؤلاء في التاريخ بالملحدين أو الماديين. وقد وجد منهم جماعات في كل زمان ومكان، ومع ذلك لم يستطيعوا أن يؤثروا في الرأي العام الإنساني ولا أن يحرفوه عن فطرته فبقي الإنسان مؤمناً بالله مستنيراً برسالاته في دروب الحياة المظلمة.

ومناقشة هذا الفريق والرد عليه لا تكون في إثبات النبوات ومدى حاجة العقل الإنساني إلى هديها، وإنما تكون في البرهنة على وجود المبدعِ الأول والخالق الأعظم لهذا الكون وما فيه.

الثاني: يعترف بوجود الله عز وجل ويؤمن به ولكنه ينكر النبوات والرسالات السماوية مكتفين بما تدركه عقولهم من خير أو شر، فضيلة أو رذيلة، زاعمين أن بعث الرسل مناف للحكمة فلا يقع من الحكيم تبارك وتعالى. وعلى رأس هذا الفريق كثير من براهمة الهند[2] والصابئة[3] وبعض الفلاسفة وقد تأثر بفلسفتهم بعض الزنادقة من المسلمين[4].

---

(1) سورة آل عمران : الآية 164.

(2) ينظر الأديان دراسة تاريخية مقارنة للدكتور رشدي عليان : ص 87 ، أصول الدين الإسلامي : ص175

(3) الصائبون - حرانيين ومندائيين -: ص 103.

(4) منهم أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحق الراوندي (ت 245هـ) وراوند مدينة أو قرية من

استدل هؤلاء على وجهة نظرهم بجملة أدلة، نورد أهمها ونبين تهافتها وبُعدها عن الحق والصواب فيما يأتي:

1- قالوا : إن ما يأتي به الرسول لا يخلو إما أن يكون مما يعرفه العقل، أو مما لا يعرف، فإن جاء بما يعرفه العقل كان لا فائدة منه، ولا حاجة لنابه، ويكون في العقل غنى وكفاية، وإن جاء بما لا يعرفه العقل، كان حرياً به ألا يتلقى بالقبول لأن القبول هو الذي تدركه العقول[1].

وأجيب عنه : بأن هذا الدليل واضح البطلان، لأن كل مُطلع على الرسالات السماوية يعلم أنها قد اشتملت على ما يعرفه العقل وعلى ما لا يعرفه، فأما ما يعرفه العقل فكان لهذه الرسالات مهمة التأكيد عليه والإلزام به، وفي ذلك دعم لمكانة العقل، وتعبير عملي عن أهميته في بناء الحياة.

وأما ما لا يعرفه العقل وهو الأكثر فإن للرسالات السماوية دور إرشاد العقل إليه، وتنبيهه إلى ما فيه النافع والصالح، ووضع الحلول المناسبة لما يصادف الناس من مشاكل الحياة المتجددة وشؤونها المعقدة. وما يبدو مخالفاً لما يقتضيه العقل من التشريعات السماوية كبعض أعمال الحج مثل تقبيل الحجر الأسود، والهرولة، والرمل إلى الطواف، ورمي الجمار، وحلق الرأس، فإن العقل المجرد يعجز ولا شك عن إدراك الغاية منها، ويكون الإتيان بها من قبل التعبد والتأسي بالرسول المصطفىﷺ قال تعالى:{لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}[2] والحقيقة أن هذا ناشئ عن قصور العقل أحياناً عن إدراك المصالح والمفاسد الحقيقية وعدم إحاطته غالباً بالمصالح الأخروية[3] ولا شك أن في التأسي بالرسول والالتزام برسالته مصالح أخروية ومنافع دنيوية.

2- قالوا: إن الرسول من جنس المرسل إليه، وتفضيل أحد المتماثلين المتساويين على مثله ونوعه حيف ومحاباة وخروج عن العدل والحكمة، وذلك غير جائز على الحكيم العادل سبحانه وتعالى[4].

وأجيب عنه:

قرى قاسان بنواحي أصبهان فارس، والزندقة : حركة فكرية أعلنت معارضتها للإسلام وهدفت إلى هدمه من أساسه، واعتمدت أسساً فكرية مناقضة له. ينظر الإسلام وحاجة الإنسانية إليه: ص 123، الغلو والفرق الغالية: ص 790.

[1] ينظر كتاب أصول الدين الإسلامي للدكتور رشدي عليان: ص 208.

[2] سورة الأحزاب : الآية 21.

[3] ينظر كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ص 273.

[4] نشرة الأب رتشرد يوسف اليسوعي: ص 104 - 106.

أ- بأن لله جلت حكمته أن يخص بفضله وكرمه من يشاء من خلقه كما أن له أن يسوي بين سائرهم، وهذا لا ينافي كونه تعالى عادلاً حكيماً.

ب- ويلزم من دليلكم أن يكون الله تعالى غير عادل لأنه خص بعض خلقه بالعلم والذكاء وكمال الجسم والحواس، وخلق في بعض آخر الجهل والغباء والنقص في الجسم والحواس، وأنتم تقولون أن ذلك لمصلحة الطرفين وسبيل لهم إلى نفع عظيم والله تعالى أعلم به.

3- قالوا: إن الله عز وجل حكيم، ومن يبعث رسولاً إلى من يعلم أنه يكفر به ولا يصدق رسوله بل يعصيه ويؤذيه يكون عبثاً، فوجب نفي بعث الرسل عن الله عز وجل لنفي العبث عنه.

وأجيب عنه : بأنه يترتب على دليلكم جواز بعث الرسل إلى من يعلم قبوله منهم وانتفاعه به كما يترتب عليه أن لا يحتج الله تعالى بالعقول، وما وضعه فيها من الأدلة على من يعلم أنه يجحدها ولا يستدل بها. فإن قلتم استدل بالعقول كثير واهتدى بهديها كثير، قلنا: وقد صدّق بالرسل كثير واهتدى بهديهم كثير، فما المانع من أن يحتج الله تعالى على عباده عن طريق واحد منهم يرسله إليه {وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}[1] وفنون المعرفة، كما احتج عليهم بالعقل وجعله مصدراً للمعرفة[2].

4- قالوا: إن كان الله تعالى إنما بعث الرسل لهداية الناس إلى الإيمان به، وإرشادهم إلى ما فيه خيرهم، فقد كان أجدر به وأتم لمراده أن يضطر عقولهم إلى الإيمان به وإلى معرفة ما فيه خيرهم.

وأجيب عنه: بأنه يلزم من دليلكم القول بأنه كان أجدر به وأولى في حكمته وأتم لمراده أن لا يدعو الناس للإيمان به والتعرف على شريعته عن طريق النظر العقلي والاستدلال المنطقي، سيما وأنه تعالى يعلم أن فيهم من لا يستدل وفيهم من لا يحسن الاستدلال. فكان أولى به أن يضطر عقولهم إلى الإيمان به ولا يكلفهم مؤونة النظر والاستدلال وأن يلطف بهم ألطافاً يختار جميعهم معها الإيمان كما فعل بالملائكة.

فإن قلتم: إن الله تعالى قد رأى أن في تكليفهم بالإيمان عن طريق النظر والاستدلال مصلحة لهم، وتكريماً لعقولهم. قلنا: وما المانع من أن يبعث إليهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته

---

[1] سورة الجمعة : الآية 2.

[2] ينظر التمهيد للباقلاني : ص 104.

ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة سيما وأن في ذلك بدون شك مصلحة محققة لهم، ودعماً لمعارفهم ومداركهم العقلية[1].

5- قالوا: إن كان الغرض من إرسال رسول هو استحقاق الثواب بالإيمان والطاعة واستحقاق العقاب بالكفر والمعصية فبإمكاننا أن ننظر في آيات خلقه بعقولنا ونشكره لنعمائه علينا، وإذا عرفناه وشكرناه كنا أهلاً لثوابه ونعمه، وإذا أنكرناه وكفرنا بنعمائه كنا جديرين بعقابه، وعليه فلا موجب لبعثه الأنبياء.

وأجيب عنه: بأن العقول مهما بلغت من السمو والرفعة والكمال لا يمكنها الاهتداء إلى حقيقة الإيمان وشرائطه، والمعارف ووجوه الطاعات، وما هو اللائق في مقام شكره من دون بيان من الله تعالى على لسان رسله.

وأول دليل على هذا: ما نراه قبل الرسالات الإلهية من الضلال الذي شمل العالم في ذلك الزمان القديم، بل ما نراه بعد أن خفت صوت الرسل، وضاعت معالم الرسالات الماضية إلى قُبيل رسالة خاتم الأنبياء والمرسلين إذ كان الناس يعبدون ما شاءوا من حجر أو شجر وما ينحتون من تماثيل وأصنام ويؤلهون بعضاً منهم، ويستذل بعضهم بعضاً آخر. بل أن المصريين القدامى مع عبقريتهم أيضاً في الفلسفة والعلم وثنيين ومثلهم الرومان القدامى مع حظهم الموفور من الفلسفة والأخلاق والقانون، فكيف غير هذه الأمم الراسخة الأقدام في التفكير، تلك الأمم التي حرمت الاستعداد العقلي والفكري[2].

6- قالوا: إن ما يبطل الرسالة هو أنا وجدنا المدعين لها يستدلون على صدقهم بمستحيلات عقلية، مثل فلق البحر، وخلق ناقة من صخرة، وقلب العصا حية، وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والمشي على الماء وإنطاق الذئب والحصى.. ونحو ذلك، ولما كان مثل ذلك محالاً ممتنعاً في العقل بطل ما يدعونه.

وأجيب عنه: بأن امتناع هذه الأمور في نظركم لا يخلو إما أن يكون في قدرة الصانع عز وجل أو في العادة، فإن قالوا: إنه ممتنع في قدرة الصانع فقد ألحدوا وتركوا دينهم لأن المفروض أنهم يؤمنون بإله، ومن صفات هذا الإله القدرة لقوله سبحانه:{فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}[3]، وقوله تعالى:{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ}[4].

---

[1] ينظر المصدر نفسه : ص 106 والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم: جـ 1 ص 69 - 70.

[2] ينظر الإسلام وحاجة الإنسانية إليه لمحمد يوسف : ص 223.

[3] سورة هود : الآية 107.

[4] سورة فاطر : الآية 44 .

وإن قالوا: بل ذلك ممتنع في العادة، قيل لهم: وما المانع من أن ينقض الله تعالى العادات، ويظهر المعجزات على أيدي رسله كبرهان ساطع ودليل قاطع على صدقهم وصحة دعواهم. وقد برهن العلماء على أن حدوث مثل هذه الأفعال وهو ما يسمى بالمعجزة ليس من نوع الممتنع عقلاً[1].

فإن قيل: إن ما أتى به الأنبياء من أعمال مثل الصلاة والصيام والحج كلها مستقبحة عند العقول لما فيها من قيام وقعود وجوع وعطش وطواف ورمي الجمار وحينئذٍ لا تكون من أوامر الله تعالى الحكيم الخبير، الذي لا يأمر بما هو مستقبح عند العقول فوجب أن ترد عليهم ولا تقبل منهم[2].

وأجيب: لا شك أن في هذه الأعمال وما شابهها حكمة لا يدركها العقل فجاء دور الرسول للتنبيه بأنها وسيلة لإصلاح كثير من الخلق وداعية لهم إلى توحيد الله تعالى والثناء عليه وغير ذلك مما ينال العباد به جزيل الثواب والعطاء في الدنيا والآخرة وأن امتثال أوامر الله تعالى حسن في ذاته وإن لم نخلط منفعة خاصة به[3].

وبالجملة فالرسول في أمته مثال يقتدي به الناس من أصحاب العقول السليمة في كل ما يقوله ويفعله، ويخلص بهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم والمعرفة وتتم بذلك رسالة الإصلاح والهداية التي جاء بها، فبعثة الأنبياء صلوات الله عليهم من متممات كون الإنسان ومن أهم حاجاته في بقائه ومنزلتها من النوع منزلة العقل من الشخص نعمة أتمَّها الله تعالى في قوله:{لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}[4].

المبحث الثالث

العقل من أصول المعرفة في القرآن الكريم

نعني بهذا العنوان تلك الأصول التي تقودنا إلى إدراك الحقائق في الوجود والتي نص عليها القرآن الكريم من خلال آياته الصريحة الكريمة: وهي الحس والعقل والخبر الصادق، والمراد بالخبر الصادق الوحي الإلهي الذي يبلغه الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والتسليم[5].

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية: ص 155.
(2) شرح الأصول الخمسة: ص 563.
(3) ينظر كتاب أصول الدين الإسلامي للدكتور رشدي عليان : ص 213.
(4) سورة النساء : الآية 165.
(5) ينظر شرح العقائد النسفية - بحاشية رمضان أفندي -: ص 45.

وقد استعمل العلماء هنا لفظ الأصول بمقابلة النظرية في الأفكار والفلسفات البشرية لأن استعمال :(نظرية) في القرآن الكريم لا يجوز، لكون النظرية تركيباً عقلياً مؤلفاً من تصورات منسقة يهدف إلى ربط النتائج بالمقدمات، بينما تلك الأصول القرآنية وحي إلهي معصوم، وليست محاولة عقلية للوصول إلى الحقيقة دون ضابط معصوم[1].

والحس : ينحصر عمله في إطار قوانين الكون المادي، ومن هنا نجد أن القرآن الكريم من أوله إلى آخره، دعانا إلى قراءة الكون من أجل الاطلاع على الأدلة المبثوثة فيه من مظاهر الحياة وقوانينها وأنظمتها، كي نتخذ من نظامه الدقيق طريقاً إلى الله تعالى في إبداعه وخلقه وعنايته وحكمته قال سبحانه وتعالى:{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}[2].

وقوله عز وجل:{فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[3].

وقوله تعالى:{أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ * وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ}[4].

ولإدراك هذا الكون وهبنا الباري سبحانه وتعالى الحواس كي نصل إلى اكتشاف قوانينه وإدراك حقائقه من خلالها قال سبحانه:{وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[5].

ودعوة القرآن الكريم لقراءة الكون هي التي أدت إلى ظهور المنهج التجريبي الذي وجه حضارتنا الإسلامية الغراء فتحققت في ظله إنجازات عظيمة في العلم والمعرفة وبناء الحياة. ولكن الاكتفاء بالحواس يعني إيقاف الإنسان عند المستوى الحيواني، وهو لا يليق به لأنه كان مكرم مكلف مسؤول، فكان لا بد من الانتقال إلى العقل كي يقودنا من عالم الحواس إلى عالم التجديد والمجهول عن طريق استنباط القوانين الكلية من ملاحظات المحسوسات وجمع أفرادها وتنسيقها.

---

(1) العقائد الإسلامية في ضوء العلم والعقل والوحي: ص 7.
(2) سورة البقرة : الآية 164.
(3) سورة الروم : الآية 50.
(4) سورة ق : الآيات 6 - 7 - 8.
(5) سورة النحل : الآية 78.

والعقل في اللغة : هو الامتناع كما تقدم ذلك في المبحث الأول، فالعقل إن تجرد عن الهوى منع الهوى من الطغيان وتوريط الإنسان في المهالك، لأن من صفاته الفهم والتدبر والتفكر والتمييز والعلم والمعرفة والاستنتاج، ولذلك جعله الله تعالى مناط التكليف ودعانا من خلال القرآن الكريم إلى النظر في الوجود ولو لم يكن العقل حجة بذاته لما أحالنا الله تعالى عليه في كتابه الكريم ولما قال عز وجل:{إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون}[1] وقوله سبحانه:{وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ}[2] وقوله جل جلاله وعم نواله:{قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[3]. وعشرات الآيات الأخرى التي تدل دلالة واضحة على تكريم الإنسان وتفضيله على سائر المخلوقات بالعقل.

والعقل ذكره القرآن الكريم صراحة في آيات عدة، وذكره بمرادفاته أو أوصافه في آيات أخرى كثيرة، فقد ورد في القرآن الكريم التذكر والتفكر والتفقه والتدبر والنظر والتعقل[4].

وإنّ المتابع المنصف لآيات الله تعالى يجد أن القرآن الكريم جاء فنهج في بيان الدين عامة والعقائد خاصة منهجاً لم يكن عليه ما سبقه من الكتب المقدسة، فلم يقتصر على ذكر العقائد الإيمانية، ولم يطلب من الناس التسليم بها لمجرد حكايتها، وإنما قام البرهان عليها وحكى عقائد المخالفين وحمل عليها بالحجة وخاطب العقل واستنهض الفكر وعرض نظام الأكوان وما فيها من الأحكام والإتقان على أنظار العقول، وطالبها بالإمعان فيها لتصل بذلك إلى اليقين بصحة ما جاء به وما دعا إليه.

ومن مزايا القرآن الكثيرة مزية واضحة يقل فيها الخلاف بين المسلمين وغير المسلمين هي التنويه بالعقل والتعويل عليه من أمر العقيدة وأمر التبعة والتكليف ففي كتب الأديان الكبرى إشارات صريحة أو مضمونة إلى العقل أو إلى التمييز ولكنها تأتي عرضاً غير مقصودة، وقد يلمح فيها القارئ بعض الأحايين شيئاً من الزراية بالعقل أو التحذير منه لأنه مزلة العقائد وباب من أبواب الدعوى والإنكار، ولكن القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ

---

[1] سورة الرعد : الآية 4.
[2] سورة العنكبوت : الآية 4.
[3] سورة النحل : الآية 64.
[4] ينظر معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي للدكتور عبد الله مصطفى: ص 50.

والدلالة وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله، أو يلام فيها المنكر على إهمال عقله وقبول الحجر عليه[1].

ومن المعلوم أن القرآن الكريم يدعو إلى استعمال العقل بأنواعه، فمثال العقل الوازع قوله تعالى:{وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ}[2].

ومثال العقل المدرك قوله تعالى:{وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا}[3].

ومثال العقل الحكيم قوله سبحانه: {يَتَذَكَّرُونَ} و{يَعْلَمُونَ} و{لأولي الألباب} و{لأولي النُّهَى} و{يَتَفَكَّرُونَ}[4].

ومن الحقائق القرآنية في هذا المجال أن العقل في القرآن الكريم لا يذكر من حيث هو آلة، ولكنه يذكر من حيث هو وظيفة، أي أن العقل في القرآن الكريم ليس نظرياً وإنما هو عقل عملي، أي هو عقل يقود إلى التمييز في الحركة والعمل[5]. ومثاله قوله تعالى:{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}[6]، وقوله سبحانه وتعالى:{أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ والأرض وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ}[7].

وتحقيق ذلك أن القرآن الكريم ليس ترفاً فلسفياً أو كتاباً علمياً يتحدث عن آلة العقل وتكوينه، وإنما جاء لأحداث الحركة والتطبيق في الحياة العلمية، فالكل عليه أن يعقل وليس أفراد مخصوصون. والملاحظ أن القرآن الكريم ليس فيه صراع بين الحس والعقل كما ذكرنا في المبحث السابق بل إنه يجمع بينهما وييسر لهما التعاون في صياغة المعرفة لأن تعطيل أحدهما هو تعطيل للآخر. وكما أن الحس له دائرته الخاصة به، يتحرك فيها ولا يتعدى على غيرها، كذلك العقل له مجاله الخاص لا يتعداه، فعندما يبدأ عالم الغيب يقف العقل، ليبدأ الوحي الإلهي لأن قدرته محدودة بحدود عالم المشاهدة واستنباط قوانينها، وحتى عالم الشهادة فإن الهوى يحول بينه وبين الوصول إلى الحقيقة، فيحتاج الإنسان عندئذٍ إلى دين إلهي غير محرف لضبط حركته والحيلولة بينه وبين جموح عقله.

---

(1) التفكير فريضة إسلامية: ص 8.
(2) سورة تبارك : الآية 10.
(3) سورة آل عمران : الآية 7.
(4) سورة الحشر : الآية 21.
(5) ينظر العقائد الإسلامية في ضوء العلم والعقل والوحي للدكتور محسن عبد الحميد : ص 10.
(6) سورة الحج : الآية 46.
(7) سورة الأعراف : الآية 185.

ثــم إن هــنالك مجــالات غيبــية في مسائل العقيدة لا يملؤها إلا الوحي الإلهي، فالتشريعات المتصلة بالطبيعة الجوهرية للإنسان لا يثبتها ويقطع إثباتها إلا الوحي الإلهي، ومنها التشريعات الأخلاقية كما سنرى ذلك واضحاً في المبحث الرابع من بحثنا إن شاء الله تعالى.

ومجمــل القــول أن النــبوة ضرورة من أجل توحيد المجتمع في العقيدة والسلوك وتقدير المنافع وسن التشريع العادل[1].

وحصيلة معاني العقل ودوره في القرآن الكريم كالآتي:

1- إدراك حــركة الظواهــر الطبيعــية وتغيرها وتبدلها، قال تعالى:{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ والأرضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِــنَ الــسَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأرضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ والأرضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}[2].

2- اســتقراء ظاهرة الحياة والموت في الطبيعة والحيوان والإنسان، قال تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ يُــرِيكُمُ الْبَــرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأرضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَــاتٍ لِقَــوْمٍ يَعْقِلُونَ}[3] وقوله تعالى:{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}[4].

3- البحث عن خلق الإنسان وأطوار نشأته من التراب إلى النطفة إلى الإنسان المكتمل، قال تعالى:{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمّىً وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}[5].

4- الجدال المنطقي لإقناع الخصوم وهدم أدلتهم وإبطالها، وكان ذلك منهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما كان ذلك منهج أصحابه من بعده، ولم يكن مظهراً من مظاهر الخصام والجــدال والمــراء بل هدي النبوة، قال تعالى:{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ}[6].

---

[1] ينظر العقائد الإسلامية في ضوء العلم والعقل والوحي : ص 11.
[2] سورة البقرة : الآية 164.
[3] سورة الروم : الآية 24.
[4] سورة تبارك : الآية 2.
[5] سورة غافر : الآية 67.
[6] سورة البقرة : الآية 44.

5- العقل يمتاز بالحيوية والإرادة، والجهل يمتاز بالجمادية والسلبية، قال تعالى:{أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ والأرضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إلا بِالْحَقِّ}[1].

6- الحواس نوافذ العقل، فإذا تعطلت أثرت في إدراك العقل، قال تعالى:{وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إلا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ}[2].

7- العاقل موصوف بالإنسانية، ومن لم يستخدم عقله الدماغي لمعرفة الله تعالى عد مع البهائم لأن العقل هو الذي يميز بين الإنسان وسائر الحيوانات، قال تعالى:{أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إلا كالأنْعَام بَلْ هُمْ أَضَلّ}[3].

8- اللغة وسيلة الفهم وأداة العقل، قال تعالى:{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}[4].

9- العقل وسيلة العلماء لتحصيل العلوم، قال تعالى:{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}[5] وقوله تعالى:{كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}[6].

10- دراسة التاريخ البشري عبر القرون والأجيال سبيل لاستخلاص السنن الإلهية في الحياة الإنسانية في الإعمار والهلاك، قال تعالى:{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأرض فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخرة خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ}[7].

11- الاستقامة في المواقف دليل العقل، والتناقض دليل الجهل وضعف العقل، قال تعالى:{وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}[8].

12- دراسة الظواهر الطبيعية في الحياة يعطي العقل فكرة عن مصير الدنيا، وهذا يدفع العاقل إلى التعلق بالملأ الأعلى، والأمثلة على ذلك كثيرة منها سورة الواقعة، والنبأ، وغيرهما.

13- العقل وسيلة للتذوق الأدبي، والتناغم مع الطبيعة، والربط بين أجزائها لفهم العلاقات القائمة بينها، وما فيها من خصائص تتعلق بوجوده، قال تعالى:{فَلْيَنْظُرِ الإنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الأرْضَ شَقّاً * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْباً * وَفَاكِهَةً وَأَبّاً * مَتَاعاً لَكُمْ وَلأنْعَامِكُم }[9].

---

(1) سورة الروم : الآية 8.
(2) سورة البقرة : الآية 171.
(3) سورة الفرقان : الآية 78.
(4) سورة يوسف : الآية 2.
(5) سورة فاطر : الآية 28.
(6) سورة النور : الآية 61.
(7) سورة يوسف : الآية 109.
(8) سورة البقرة : الآيتان 155-156.
(9) سورة عبس : الآيات 24 - 32.

14- العقل هو الذي يميز بين الخير والشر ويختار الأفضل، ويدفع صاحبه للعمل، قال تعالى:{قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ}[1].

15- العقل يبحث في الخالق والمخلوق، ويمكنه الفصل بينهما في الذات والصفات والأفعال، وأن المساواة بينهما مستحيلة[2]، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[3] وقوله سبحانه:{إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ}[4].

16- إن عقل القلب هو الذي يتوجه إليه الخطاب الإلهي، وأن من عدمه عدم العقل المفيد، قال تعالى:{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}[5].

17- مهمة العقل الدماغي إيصال صاحبه إلى وجود الخالق مدبر لهذا الكون، وبقية المسيرة تكون باتباع الرسل عليهم السلام، واستسلام عقل الدماغ ليواكب عقل القلب المسير في عالم الملكوت، واستكناه عوالم الآخرة واستقدامها إلى الدنيا فيتحدث عنها حديث المشاهدة لا حديث الغيب، ثم يشرق بنوره على عقل الدماغ فيفهم عنه ما يريد مستمراً في استسلامه، قال تعالى:{فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ* فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[6].

---

[1] سورة الأنبياء : الآيتان 66 - 67.
[2] مفهوم العقل والقلب: ص 130.
[3] سورة البقرة : الآية 22.
[4] سورة الحج : الآية 73.
[5] سورة الرعد : الآية 28.
[6] سورة الأنعام : الآيات 76 - 79.

{الخاتمة}

(1) العقل من أعظم نعم الله تعالى علينا ، وأنفع الأشياء وأجداها لدينا ، حبانا الله تعالى به ، وخَصّنا بوظائفه ، به نُميّز بين الخبيث والطبيب، والخير والشر.

(2) العقــل مــناط التكلــيف ، ومدار المثوبة والعقوبة ، فالعقل مفطور على التميز بن الأشياء وإطلاق الأحكام عليها ، ولا يوصف بخير أو شر إلاّ من خلال عمله.

(3) العقــل آلــه خالــية من الأغراض ، ومهمته العلم بصفات الأشياء من حسن وقبح وكمال ونقصان ، والعلم بخير الخيرين وشر الشرّين ليمايز بينهما.

(4) الإسلام دعا العقل إلى التفكير، ولكن في نطاق العقل، وفي حدود مداركه، ونهى عن التفكير في ذات الله تعالى ؛ لأن ذات الله فوق الإدراك العقلي.

(5) لكل عضو من أعضاء الإنسان وظيفة ، ووظيفة العقل هي التأمل والنظر والتفكير ، وإذا تعطلت هذه القُوى بطل عمل العقل ، وعطل من أهم وظائفه.

(6) إن معرفة الله إنما هي نتاج عقل ذكي ملهم ، وثمرة تفكير عميق مشرق.

(7) القرآن الكريم يوقظ العقل بآياته ، ويفتح أمامه كتاب الطبيعة ليتعرف منه ما لله من صفات كماله، ونعوت جلاله، ومظاهر عظمته، وأدلة قدسيته، وشمول علمه، ونفوذ قدرته، وتفرده بالخلق والإبداع.

(8) التقليد مانع للعقل من الانطلاق ، ومعوّق له من التفكير.

(9) جحــود نعمة العقل وعدم استعماله فيما خُلق من أجله مدعاة للتحقير والازدراء من ربّ الأرض والسماء.

حاجــة العقــل الإنساني إلى هدى النبوة يستعين به في إدراك ما يعجز عن إدراكه حاجة ماسة وضرورة ملحة.

تم بحمد الله تعالى ،،

المصـــــادر

1- القرآن الكريم.
2- إحياء علوم الدين للإمام الغزالي (ت 505ه) دار القلم، بيروت – لبنان، ط 3.
3- أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، مصر – القاهرة، ط 1.
4- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني (ت 923ه) المطبعة الأميرية ببولاق مصر المحمية، ط 2، 1323ه.
5- اصول الدين الإسلامي، د. رشدي محمد عليان، ود. قحطان عبد الرحمن الدوري، مطبعة الإرشاد بغداد، ط 3، 1406ه – 1986م.
6- الإبهـــاج فـــي شـــرح المـــنهاج علـــى منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي (ت 685ه) تأليف شيخ الإسلام علي بن عبد الكافي السبكي (ت 756ه) وولـــده تـــاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (ت 771ه)، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط 1، 1404ه – 1984م.
7- الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم (المتوفى 456ه) مطبعة العاصمة بالقاهرة.
8- الأديـــان دراسة تاريخية مقارنة، القسم الأول، الديانات القديمة، د. رشدي عليان وسعدون الساموك.
9- الإرشـــاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين الجويني (ت 478ه) تحقـــيق د. محمـــد يوســـف موسى والأستاذ علي عبد المنعم عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، 1369ه – 1950م.
10- الإســـلام وحاجة الإنسانية إليه، د. محمد يوسف موسى، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط 2، سنة 1962م.
11- تفـــسر الآلوسي المسمى: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمد الآلوسي البغدادي (ت 1270ه) دار الطباعة المنيرية – بيروت لبنان.
12- تفسير سيد قطب المسمى :(في ظلال القرآن) سيد قطب، ط 5، 1386ه – 1967 م.
13- التعريفات، للإمام الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1408ه.
14- دائـــرة معـــارف القرن العشرين، تأليف زيدوجدي دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 3،1971م.
15- راحة العقل – الكرماني. أهمل التاريخ والطبعة.

16- شــرح العقــيدة الطحاويــة، للإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي الفرا الدمــشقي(ت 793هـ)، تحقــيق د. عــبد الله بــن محسن التركي والشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط 1، 1408هـ – 1988م.
17- شرح العقيدة النسفية للعلامة سعد الدين التفتازاني بحاشية رمضان أفندي، مطبعة الحاج حسين أفندي، 1304هـ.
18- الصائبون – حرانيين ومندائيين – د. رشدي عليان، مطبعة دار السلام بغداد – ط 1، سنة 1977م.
19- العقائــد الإسلامية في ضوء العلم والعقل والوحي، د. محسن عبد الحميد، ط 1، 1422هـ – 2002م، العراق – بغداد.
20- العقــل عند الشيعة الإمامية – د. رشدي عليان، ط 1، سنة 1973م، مطبعة دار السلام بغداد.
21- العقل والوجود – يوسف كرم، طبعة دار المعارف بمصر، 1964م.
22- العقل وسطوته – ج، راين، ترجمة محمد الحلوجي، مطبعة السعادة، مصر.
23- العقــل وفهم القرآن، الإمام الحارث بن أسد المحاسبي (ت 243هـ) تحقيق حسين القوتلي، دار الفكر – بيروت – لبنان، ط 1، 1319هـ – 1971م.
24- الفرق بين الفرق للإمام عبد القاهر البغدادي (ت 429هـ) حققه وعلق عليه العلامة محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة بمصر.
25- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت 817هـ) المكتبة التجارية الكبرى. ومطبعة دار الجيل – بيروت – لبنان.
26- القــسطاس المستقيم – للإمام الغزالي، تحقيق فكتور شلحت، ط 1، سنة 1959م، المطبعة الكاثوليكية.
27- قصة الإيمان، نديم الجسر، مطابع المكتب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1969م.
28- لسان العربي، جمال الدين بن منظر المصري (ت 711هـ) دار صادر، بيروت.
29- المفــردات فــي غريب القرآن، للحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، مكتب الأنجلو المصرية، المطبعة الحديثة، 1970م.
30- الملــل والنحل للشيخ عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق محمد زيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، 1387هـ – 1967م.
31- المنقذ من الضلال، للإمام الغزالي (ت 505هـ).

32- مختار الصحاح، للعلامة زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي (ت 666هـ) ترتيب وتحقيق محمود خاطر وحمزة فتح الله، دار البصائر، مؤسسة الرسالة، 1407هـ - 1985م.
33- مذاهب ومفاهيم في الفلسفة والاجتماع : عبد الرزاق الماجد، منشورات دار المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
34- معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي، للدكتور العلامة عبدالله بن مصطفى الهرشمي،ط1، عمان - الأردن، 1414هـ - 1993م.
35- منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي (ت 685هـ) وهو مع الإبهاج، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1، 1404هـ - 1984م.
36- منهج القرآن في إصلاح النفوس، رسالة الماجستير للدكتور عبدو الحاج على الحريري مقدمة إلى كلية العلوم الإسلامية جامعة بغداد - عام 1999م.
37- موقف العقل والعلم والعالم من ربّ العالمين، للأستاذ مصطفى صبري، القاهرة، 1950م.
38- الوجيز في أصول الفقه، للدكتور الأستاذ عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1405هـ - 1985م.
39- الوسطية في العقيدة الإسلامية، رسالة دكتوراه، قدمت إلى كلية العلوم الإسلامية جامعة بغداد - قدمها الدكتور الشيخ ثائر إبراهيم خضير الشمري عام 1422هـ - 2002م ونالت درجة الامتياز.